تفريغ المحاضرة االعاشرة ةالاخيرة فى العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 2018-10-5

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله

الدورة النسائية –مصر-الاسكندرية - العصافرة - جامع الامام مسلم

تابع الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم

(الْتَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ) من الشرائع

(وَالْشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الْشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الْنَّاسِ كَافَّةً) يعني جميعًا العرب والعجم.

(وَافْتَرَضَ الله طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالإِنْسِ) وهذا محل إجماع بين أهل العلم، وإنما الخلف هل بعث إلى الملائكة أو لا محل نزاع بين العلماء.

والدليل قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} 1، الأعراف آية: 158 وأكمل الله به الدين.

فرسالته عامة للعرب والعجم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال – صلى الله عليه وسلم –: («والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار») وهذا نص واضحٌ قاطع في أن من مات على اليهودية أو النصرانية وقد بلغه بعثة محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – أو الإسلام في الجملة فحينئذٍ قد قامت عليه الحجة الرسالية، فإذا مات فهو من أصحاب النار.

(وَأَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الْدِّينَ) أصولاً وفروعًا، لا نحتاج إلى دين سواه، فليس فيه نقص بوجهٍ من الوجوه.

فالشريعة كاملة صالحة لكل زمانٍ ومكان، فمن طعن فيها بأنها لا تصلح في زمنٍ من الأزمان أو في بعض الأمكنة فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين.

والدليل قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً}. المائدة آية: 3

{الْيَوْمَ} أي نزلت هذه الآية في هذا اليوم، عرفة وكان يوم جمعة، قبل وفاته عليه الصلاة والسلام بثمانين يومًا، وهو واقف بعرفة يخطب الناس.

إذًا الدين كامل، والكامل لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل، «لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك»

{وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ} يعني إكمال نعمتي بهذا الدين

{وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً} فنرضى بما رضيه الله تعالى لنا

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} الزمر آية: 30-31.

{إِنَّكَ} يا محمد ميتٌ: يعني ستموت، {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء: 34] {وَإِنَّهُم} أي من معك {مَّيِّتُونَ} يعني سيموتون كما قال سبحانه: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [الأنبياء: 35]. ولا شك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نفس من الأنفس حينئذٍ هي ذائقة الموت.

{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} إلى الله وتحتكمون إليه في ما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله تعالى، فيحكم بينهم بالحق.

والناس إذا ماتوا يبعثون. والدليل قوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}. طه آية: 55

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} أي من الأرض خلقناكم كما خُلِقَ آدم عليه الصلاة والسلام من تراب {وَفِيهَا} أي في الأرض {نُعِيدُكُمْ} يعني بالدفن بعد الموت، فإذا متم تصيرون إليها فتدفنون بها.

{وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ} بعد إعادتكم فيها

{نُخْرِجُكُمْ تَارَةً} أي مرة أُخرى بالبعث يوم القيامة.

وقوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً} ، نوح آية: 17-18 وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم.

{مِّنَ الْأَرْضِ} هذا مبدأ الخلق، خُلِقَ آدم من تراب. وأنبتكم من الأرض إنباتًا

{ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا} أي في الأرض إذا متم ودُفِنتم بها {وَيُخْرِجُكُمْ} منها بالبعث أحياءً للحساب والجزاء، يوم القيامة كما بدأكم أول مرة.

ومن السنة قوله – صلى الله عليه وسلم –: «يحشر الناس يوم القيامة حفاةً غُرْلاً». ق، وأجمع المسلمون على ثبوته.

(وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ) صغيرها وكبيرها.

والدليل قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} النجم آية: 31.

{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا} بإساءتهم من الشرك فما دونه

{وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا: أي وحدوا ربهم وأخلصوا له العبادة.

{بِالْحُسْنَى} أي بالجنة، وهذا مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

ومن كذب بالبعث كفر. والدليل قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}. التغابن آية: 7

حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم: أن لن يبعثوا، قل يا محمد ({بَلَى وَرَبِّي}) هذا قسم بالله تعالى {لَتُبْعَثُنَّ}) يعني يوم القيامة {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ} أي: لتخبرن بما عملتم، بجميع أعمالكم صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها، ثم قال سبحانه: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47]، {وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: 7] أي سهل وهينٌ عليه جل في علاه.

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين.

والدليل قوله تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}. النساء آية: 165

من وظائف الرسل أنهم مبشرون ومنذرون. وانقطعت حجة الخلق على الله بإرسال أرسل وإنزال الكتب كما قال سبحانه وتعالى: {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الانشقاق: 24] يعني إن عصوا ربهم جل وعلا.

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.

والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} النساء آية: 163 وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت.

والدليل قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل آية: 36

وأول هؤلاء الرسل نُوحٌ عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وكان بينه وبين آدم عليه السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام، فلما حدث الشرك بسبب الغلو في الصالحين أرسل الله عز وجل إليهم نوحًا وهو أول رسولٍ إلى أهل الأرض، (وَآخِرُهُمْ) أي آخر رسل إلى أهل الأرض (مُحَمَّدٌ – صلى الله عليه وسلم.

ولو كان هناك نبي قبل نوحٍ لذُكر في هذه الآية لأنه قال: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ}. فلما بدأ بنوح دلّ على أنه أول الأنبياء، ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى دليل على أن خاتم الأنبياء هو محمد – صلى الله عليه وسلم – لوضوحه لأنه يخاطب أمة محمد عليه الصلاة والسلام، والدليل على أنه آخر الأنبياء وخاتمهم قوله تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} [الأحزاب: 40] فلا نبي بعده، ومن ادَّعَى النبوة بعده فهو كاذبٌ كافرٌ مرتد عن الإسلام.

ووظيفة الرسل هي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ومجانبة وترك الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ({وَلَقَدْ بَعَثْنَا} [النحل: 36]) فالرسالة عمت كل أمةٍ وأن دين الأنبياء واحد، وهو ما أشار إليه بقوله: {أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}، {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: 24] دلّ ذلك على أن دعوة الرسل موحدة وأنها تدعوا إلى شيءٍ واحد وهو عبادة الله

تعالى وحده دون ما سواه. وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو الذي دلت عليه الآية {اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع. والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

الطاغوت: فَعَلُوت مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحدّ، ومنه {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة: 11] عرَّفه ابن القيم بتعريفٍ جامعٍ مانعٍ.

(مَا تَجَاوَزَ بِهِ) التجاوز هو معنى الطغيان، (حَدَّه) أي قدره الذي ينبغي له في الشرع (مِنْ مَعْبُودٍ) مع الله تعالى، قيده بعضهم بأنه أن يكون راضيًا

(أَوْ مَتْبُوعٍ) يعني في معاصي الله تعالى من الكهان والسحرة وعلماء السوء ونحوهم (أَوْ مُطَاعٍ) من دون الله في التحليل والتحريم كالحكام والأمراء.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: فأما صفة الكفر بالطاغوت فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم.

(وَالْطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ) يعني: أكبر الطواغيت بالاستقراء خمسة هم أكثر من ذلك لا حصر لهم، لكن خمسة هؤلاء هم الرؤوس:

(إِبْلِيسُ) هذا رأسهم الأكبر (لَعَنَهُ اللهُ) اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، وقد سَمَّى الله تعالى طاعة إبليس عبادة كما قال سبحانه: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس: 60] فيدخل فيه جميع أنواع الكفر والمعاصي {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي} [يس: 60، 61] فمن أطاع الشيطان ولو في معصية من المعاصي توجه إليه بشيءٍ من العبادة.

(وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) يعني: بتلك العبادة الحاصلة من العابد بأي نوعٍ من أنواعها فقلنا: (وَهُوَ رَاضٍ) اشترطه البعض من أجل إخراج الصالحين كالأنبياء وبعضهم عيسى عليه السلام.

(وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) وتعظيمه وإن لم يعبدوه صار طاغوتًا؛ فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يجب كفرعون، وقال بعضهم: من كان له حاجةٌ فليأت إلى قبري وليستغث بي. وهذا نقول: دعوة إلى عبادة غير الله تعالى.

الرابع: (وَمَنْ اِدَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى كالمنجمين والعرافين ونحوهم {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: 65].

لخامس: والأخير: (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ) تعالى كما قال سبحانه: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44] وجاء في آية هم الظالمون، وجاء في الثالثة هم الفاسقون.

فإن اعتقد أن حكمه مثل حكم الله تعالى يعني: مساواة حكم غير الله بحكم الله أو أنه أصلح وأنفع للناس هذا كافرًا كفرًا أكبر مرتدًا عن الإسلام، وأما إذا لم يعتقد المثلية ولا الإصلاحية فهذا يكون ظالمًا، وأما إذا حكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أن حكم الله أصلح وأنفع وأن حكم غيره لا خير فيه ولكن حكم بغيره لهوًا وشهوةٍ فإنه يكون فاسقًا.

والدليل قوله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} البقرة آية: 256. وهذا معنى لا إله إلا الله، وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" الترمذي: الإيمان (2616) , وابن ماجه: الفتن (3973) , وأحمد (231/5, 234/5, 237/5, 245/5) .والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

والدليل على وجوب الكفر بالطاغوت

{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} يعني لا تكرهوا أحدًا على الدخول في الإسلام

{قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْد مِن الْغَي} الإسلام واضح وهو حق وإنما يراد منه أن يدخل فيه بإرادته واختياره. {الْغَي} هو الضلال.

{فَمَن يَكْفُرْ بالطَّاغُوت وَيُؤْمِن بِاللهِ} هذا معنى لا إله إلا الله {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} أي بالتوحيد، فهو العروة الوثقى، وأمسك أي: أخذ به وتعلق واعتصم، والعورة الوثقى القوية

التي لا تنفك ولا تنفصم، العروة موضع شد اليد، والوثاق تأنيث الأوثق وهي القوية التي لا تنفك.

«رَأْسُ الْأَمْرِ» أي الدين (الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الْصَّلاَةُ) هذا فيه عظم شأن الصلاة، وأنها من الدين بهذا المكان العظيم فهو أن مكانها من الدين مكان العمود من الفسطاط.

ذُروة الشيء أعلاه وذُروة البعير سنامه وهو أعلاه وأرفعه. (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ) دل على أن الجهاد أعلى شيءٍ في الدين لأنه بذلٌ للنفس.

الحديث أخرجه أحمد وابن ماجة والترمذي وقال: حسنٌ صحيح

<u>تم بفضل الله تعالى مقرر الاصول الثلاثة بمحاضرة العاشرة</u>